صورة الطوفان فى المصادر الكلاسيكية ومدى ارتباطها بمصادر الشرق الأدنى القديمة

د. مجدي صبحي الهواري
مدرس ــ الدراسات اليونانية واللاتينية
كلية الآداب ــ جامعة المنصورة

انتشرت قصص الطوفان الذى أهلك البشر جميعًا على وجه التقريب، كما أهلك كل ما كان يعيش على الأرض من حيوان ونبات وطير في أدبيات كثير من الأمم، حيث التقت هذه القصص الكثيرة فيما بينها في مواضع واختلفت في مواضع أخرى، ورغم الانتشار الواسع لهذه القصص فمن الثابت عدم وجود مثل هذه القصة في الأدب المصرى القديم، وإن كانت فكرة عقاب الإله للبشر على معصيتهم إياه وهي الفكرة الرئيسية لقصة الطوفان قد وجدت في هذا الأدب(١)، كما سنعرف لاحقا.

والحق أن قصص الطوفان تقدم تأصيلاً ــ متعمدًا في بعضها عفويا في البعض الآخر ــ لتاريخ الجنس البشرى، فعملية الخلق الجديد في القصة السومرية تمت على يد الإله **إنكى** والإلهة الأم، أما في القصة اليونانية (قصة طوفان ديوكاليون) فقد تمت من خلال **بروميثوس** و**باندورا** حيث أنجب **بروميثوس** ديوكاليون وأنجبت **باندورا** بيرها من أخيه **إبيمثيوس**، وأنجب **ديوكاليون** و**بيرها** Ἕλλην **هيللين** أبا اليونانيين (الهيللينيين) (٢).

وإذا سلمنا بأن قصة الطوفان السومرية هي أقدم قصص الطوفان المدونة في الأدب، وأن البابليين قد استمدوا منها روايتهم عن الطوفان

مثلما استمدوا من السومريين العناصر الأساسية لحضارتهم (٣)، فعلينا أن نجعل القصة السومرية القصة الأصلية التى يجب مقارنة عناصر القصص التالية بعناصرها.

وبداية ترى ما هو سبب حدوث الطوفان السومرى؟

يتضح سبب الطوفان في القصة السومرية من ذكر الأسطر الباقية منها لصفات بطل القصة **زيوسودرا** الملك الذى يطيع الآلهة ويعامل البشر بتواضع واحترام، حيث يقول النص:

ـ " وبنى { فلكا} ضخما .

ـ مطيعا ، متواضعًا ، في احترام (هو) .... ،

ـ حاضرًا كل يوم ، دائمًا (هو) .....،

ـ محضرًا كل أنواع الأحلام (هو) ..... ،

ـ ناطقًا اسمى السماء (و) الأرض (هو) ..... ،

ـ ... الآلهة حائط .....

ـ زيوسودرا واقفاً إلي جانبها، سمع: " ..... (٤) ."

ومن المرجح أن النص يشير إلى أن اختيار **زيوسودرا** من قِبَل الآلهة للنجاة من الطوفان جاء لكونه مطيعًا لها ويتسم بالتواضع والاحترام، أما من سواه فكانوا غير ذلك فحق عليهم العقاب، وهذا ما يتضح من قصة الطوفان البابلية التي وردت في ملحمة جلجامش حين يقوم الإله **إيا** بتوجيه اللوم إلى الإله **إنليل** لإهلاكه المذنبين بالطوفان قائلاً:

" كيف جاز لك أن تُحْدِث هذا الطوفان بلا تَروِ ؟

فلتُحَمِل المذنب وزر خطيئته وحمل المعتدى إثم اعتدائه

لا تُفْرِطْ في الشدة على المذنب فتهلكه،

ولا تلن له فيُمعِن في الشر (٥) ."

من الواضح أن سبب الطوفان هو غضب الإله من البشر لمعصيتهم وعدم احترامهم وتوقيرهم للآلهة من ناحية ولبعضهم البعض من ناحية أخرى (٦)، ويتفق هذا إلى حد كبير مع ما ورد بشأن طوفان ديوكاليون عند لوكيانوس في مقالته "**عن الإلهة السورية**" ، حيث يقول في الفقرة الثانية عشر:

"وفيما يتعلق بأولئك البشر (الخلق الأول)، فيروى الناس عنهم ما يلي: إنهم كانوا أناساً متمردين تماماً (عصاة) ويرتكبون أفعالاً شريرة، حيث إنهم اعتادوا أن لا يوفون بالقسم ولم يكونوا يستقبلون الضيوف بقبول حسن، ولا يرحبون بالغرباء؛ وقد كان نتيجة هذه الآثام أن حاق بهم هلاك تام."

ἐκείνων δὲ
πέρι τῶν ἀνθρώπων τάδε μυθέονται·
ὑβρισταὶ κάρτα ἐόντες ἀθέμιστα ἔργα
ἔπρησσον, οὔτε γὰρ ὅρκια ἐφύλασσον
οὔτε ξείνους ἐδέκοντο οὔτε ἱκε-τέων
ἠνείχοντο, ἀνθ' ὧν σφίσιν ἡ μεγάλη
συμφορὴ ἀπίκετο.

Lucian, De Dea Syria, 12.

وجدير بالذكر أن شرور البشر وآثامهم كانت السبب في هلاكهم بالطوفان (٧) فيما يرويه أوفيديوس :

" والآن استُخرِج الحديد وهو مؤلم والذهب وهو أكثر إيذاءًا من الحديد وجاءت الحرب، وبهما نشأ القتال، وتصارعت السيوف المجلجلة في الأيدى

الملطخة بالدماء، وعاش {الناس} على النهب: ولم يسلم الضيف من مضيفه، ولم يطمئن الزوج لحميه ووُجد الخوف أيضا بين الإخوة {وبعضهم}؛ وتمنى الزوج الخلاص من زوجته وتمنت هي موته، وقامت زوجات الآباء القاسيات بدس السموم القاتلة، وسأل الابن عن والديه قبل اليوم منذ سنوات؛ وصارت التقوى إلى زوال . . . . ."

iamque nocens ferrum ferroque nocentius aurum
prodierat, prodit bellum, quod pugnat utroque,
sanguineaque manu crepitantia concutit arma.
vivitur ex rapto: non hospes ab hospite tutus,
non socer a genero, fratrum quoque gratia rara est;
inminet exitio vir coniugis, illa mariti,
lurida terribiles miscent aconita novercae,
filius ante diem patrios inquirit in annos:
victa iacet pietas,

Ovid., Met. I. 141- 149.

وعندما رأى كبير الآلهة جوبيتر (زيوس) ابن ساتورنوس (كرونوس) من عليائه، ما حدث من البشر على الأرض من صراع علي المال وقسوة القلب حتى بين الإخوة وبعضهم البعض وعقوق الوالدين، غضب لكل هذا وتذكر ما فعله ليكاؤون ــ ذلك البشرى الذى أسس عبادة زيوس ليكايوس في مدينة أركاديا، ولكنه ارتكب إثما كبيرًا في حق معبوده حيث قام بذبح صبى صغير وتقديم أشلائه على المائدة ليأكلها بعد أن قام بشوائها على النار ــ فجمع زيوس الآلهة وأعتلى عرشه، وقص عليهم ما حدث من ليكاؤون الذى سخر من كبير الآلهة

وأخبر زيوس الآلهـــة أنه قرر القضاء على الجنس البشرى كله وخلق بشر غير البشر من أصل معجز (٨).

وهناك من يري أن اليونانيين قد استلهموا فكرة غضب الإله من البشر ومعاقبته إياهم على معصيتهم من الشرق، وذلـــك مـــن خـــلال علاقتهم مع الفينيقيين أو احتكاكهم باليهود في فترة متـــأخرة (القـــرن السادس قبل الميلاد) بعد انتهاء فترة السبي البابلي التي تعلم فيها اليهود الحضارة من البابليين (٩).

ولكن علاقة اليونانيين بالشرق الأدنى تعود إلي فترة سابقة علي هذا التاريخ بكثير؛ حيث برهنت الاكتشافات الأثرية أن علاقـــة عـــالم بحر إيجة بالشرق تعود إلى بداية الألف الثانية قبل الميلاد (١٠)؛ كمـــا أن ارتباط **ديوكاليون** بطل قصة الطوفان اليونانية بـــالتيتن المتمـــرد **برومثيوس** وإرتباط زوجته **بيرها** بحـــواء اليونانيـــة **باندورا** عنـــد هيسيودوس الذى يعود تاريخه في الغالب إلى القرن الثامن ق.م.(١١)؛ يرجح أن فكرة غضب الإله من البشر ومعاقبتهم بالطوفان قد استمدتها المصادر اليونانية من المصادر السومرية والبابلية التـــى تعـــود إلـــى الألف الثالث قبل الميلاد والتى سبق أن أشرنا إلي أنها كانت منتشـــرة في بلاد الشرق الأدنى القديم، لدرجة أنها أصبحت في متناول جميـــع الأقوام، يقتبس منها رواتهم ما يريدون ويكيفونها طبقًا لما يتواءم مـــع تمجيدهم لذكرى أسلافهم (١٢).

وقد وجدت فكرة العقاب الإلهى للبشر التي تتمحور حولها قصـــة الطوفان في الأدب المصرى القديم رغم عدم وجود ما يشير في هـــذا الأدب إلى قصة الطوفان، حيث غضب الإله رع على أهـــل مصـــر عندما عصوا أوامره وكفروا به فما كان منه إلا أن أهلكهم عقابًا لهـــم

على عدم طاعته، حيث يتضح من النصوص المصرية القديمة أن الإله رع وجه عينه الغاضبة إلى البشر فأهلكتهم ، فقد تجسد غضب الإله في صورة الإلهة حتحور، حيث قام هذا المخلوق بذبح أناس كثيرين من أهل البادية، وحين أخذت الشفقة والرحمة طريقها إلى قلب الإله رع أنقذ من تبقى من البشر وذلك بصنع مزيج من الجعة والمغرة الحمراء مشابها للدم البشرى، وسكبه أمام المخلوق الإلهى الوحشى فشرب منه حتى سكر ولم يتعرف على بقية البشر (١٣).

ويشير **فريزر** إلى أن علينا النظر إلى قصة الطوفان بوصفها تراثًا شعبيًا انتقل من شعب إلى آخر، بما يصاحب ذلك من تغيير قليل أو كثير، ويشير كذلك إلى أن التشابهات التى وجدت في التراث الشعبى لكثير من الشعوب بشأن قصة الطوفان جاءت إما نتيجة لتماثل حركة التفكير في العقل الإنسانى أو إلى حدوث تجارب متماثلة مع الطوفان عند معظم الشعوب (١٤).

على أي حال فإنه بالنسبة إلي فكرة العقاب الإلهى للبشر نتيجة معصيتهم للآلهة، فمن المرجح أنها نتجت عن تطور طبيعى للمجتمع فيما يتعلق بشعور البشر بحاجتهم إلى معاقبة الأشرار، وبالنسبة إلي الفكر اليونانى كان على الآلهة بوصفها حراسًا للوفاء وميثاق الشرف الذى التزم به الإنسان تجاه أسرته ومدينته، أن تُنزِل العقاب على من ينتهك حرمة المبادئ الاجتماعية بأن يأتى بأفعال مثل القتل والخيانة وعقوق الوالدين والحنث في القسم وازدواج المعاملة (النفاق) (١٥).

ولذلك كانت تقوي وورع بطل قصة الطوفان هما سبب اختيار الآلهة له للنجاة من الغرق، وهو ما سبق أن أشار إليه النص

السومرى، الذى أوضح أن **زيوسودرا** بطل قصة الطوفان كان رجلاً كريم الخلق نقى السريرة يوصف بالتقوى وبأنه ملك متواضع يخشى الإله، وكذلك الحال بالنسبة إلي المصادر الكلاسيكية التي تتحدث عن طوفان **ديوكاليون**، حيث يذكر لوكيانوس أن:

" وترك ديوكاليون وحده من بين البشر (من الخلق الأول) من أجل الخلق الثاني، وذلك بسبب حكمته وتقواه."

Δευκαλίων δὲ μοῦνος ἀνθρώπων ἐλίπετο
ἐς γενεὴν δευτέρην εὐβουλίης τε καὶ τοῦ
εὐσεβέος εἵνεκα.

Lucian, De Dea Syria, 12.

وكانت تقوى وصلاح **ديوكاليون** وزوجته هما سبب نجاتهما من الطوفان عند أوفيديوس، حيث يقول عن **ديوكاليون وبيرها:**

" لم يوجد رجل أفضل منه ولم يكن هناك من يضاهيه فقد كان رجلاً محبا للعدالة ولم تكن هناك امرأة أكثر منها تبجيلاً للآلهة ."

Non illo melior quisquam nec amantior aequi
vir fuit aut illa metuentior ulla deorum.

Ovid., Met., I, 322-3.

ولكن من كتبت له النجاة مع البطل ؟ زوجته ، أبناؤه ، أو هناك آخرون ؟ وما هي وسيلة النجاة ؟

في القصة السومرية يبدو من الواضح {من ظاهر النص} أن النجاة لم تكتب سوى للبطل **زيوسودرا** الذى حاز الخلود، حيث إن الأجزاء الباقية من أسطورة الطوفان السومرية لم تشر إلى أى ناجين غير البطل، وإنما على العكس ذكرت:

" أن الطوفان سيكتسح مراكز العبادة .
ليقضى على بذرة البشر .... (١٦) ."

أما في ملحمة جلجامش، نجد أن بطل قصة الطوفان **أوتنابشتم** يذكر لبطل الملحمة **جلجامش** أنه بعد أن أتم بناء السفينة حَمّلها بكل ما يملك وأركب عائلته وأقاربه فيها:

" وحملت فيها كل ما أملك
وكل ما عندي من فضة حملته فيها
وحملت فيها كل ما أملك من ذهب
وحملت فيها كل ما كان عندي من الكائنات الحية
أركبت في السفينة جميع أهلي وذوي قرباى
أركبت فيها حيوان الحقل وحيوان البرية
وجميع الصناع أركبتهم فيها (١٧) ."

وبما أن الساميين الذين سكنوا بلاد النهرين قد استمدوا العناصر الأساسية لحضارتهم من أسلافهم السومريين، كما استمدوا منهم كثيرًا من القصص ومن بينها قصة الطوفان بعناصرها وأفكارها المتنوعة (١٨)، ومن بينها الأمر الإلهي للبطل ببناء السفينة، فإنه من الممكن القول بأن بطل الطوفان السومرى **زيوسودرا** لم يكن وجده الذى نجا من الطوفان، حيث يتضح من النص البابلى أن **أوتنابشتم** بطل القصة البابلية قد حمل معه في الفلك أهله وأقاربه علاوة على زوجته (١٩)؛ كما أن قيام الآلهة بمنح الخلود لبطل القصة وزوجته ونقلهما للعيش في جنة (فردوس) أرض دلمون ينم عن تركه أمر تجديد الجنس البشري لآخرين كان قد حملهم معه في السفينة (٢٠).

أما بالنسبة إلي قصة طوفان ديوكاليون، فقد ورد عند **لوكيـــانوس** أن ديوكاليون حمل معه في السفينة زوجاته وأبنائه:

"كانت لديه سفينة كبيرة وضع أطفاله وزوجاته فيها ودخل هو نفسه إليها."

λάρνακα μεγάλην, τὴν αὐτὸς· εἶχεν, ἐς ταύτην ἐσβιβάσας παῖδάς τε καὶ γυναῖκας ἑωυτοῦ ἐσέβη·

Lucian., De Dea Syria, 12.

أما **أبوللودوروس** فقد ذكر أن بناء السفينة تم بناءً علي نصـــيحة بروميثيوس:

" قام ديوكاليون ببناء سفينة بنـــاءً علـــى نصـــيحة بروميثيوس. وركبها مع بيرها بعد أن ملأها بالمؤن."

ὑποθεμένου Προμηθέως Δευκαλίων τεκτηνάμενος λάρνακα, καὶ τὰ ἐπιτήδεια ἐνθέμενος, εἰς ταύτην μετὰ Πύρρας εἰσέβη. **Apollod., I. 7. 2.**

أما **أوفيديوس** فيذكر أنه بعد أن عاد العالم إلى ســـيرته الأولـــى ورأى **ديوكاليون** أن العالم قد أصبح خاليًـــا وســـاد الســـكون الأرض المقفرة انخرط في البكاء ووجه حديثه إلى **بيرها** قائلاً :

" يا أختاه، يا زوجتى، أيتها المرأة الوحيدة الموجودة (في الوجود)."

'o soror, o coniunx, o femina sola superstes,

Ovid., Met., I, 351.

ويستمر **ديوكاليون** في حديثه إلى **بيرهـــا** موضـــحًا أنهمـــا أصـــبحا بمفردهما في هذه الحياة وأنه لا معين لها إلا هو وأن ما حدث للجنس البشرى لا زال في مخيلته (٢١)، إلى أن يقول لها :

"إن إستعادة الجنس البشرى تعتمد الآن علينا نحن الإثنين."

nunc genus in nobis restat mortale duobus

Ovid., Met . , I, 365.

وتشير بعض الروايات إلى نجاة آخرين من الطوفان غير ديوكاليون وبيرها، حيث قيل إن ميجاروس أحد أبناء زيوس لجأ إلى جبل جيرانيا بعد أن أيقظه طائر الكركى بصرخاته (٢٢). والآخر كيرامبوس وهو من بليون، حيث حولته الحوريات إلى خنفساء سوداء فاستطاع أثناء طوفان ديوكاليون أن يطير عالياً ويصل سالما إلى قمة جبل بارناسوس (٢٣). ونجا من الطوفان أيضا أهل مدينة بارناسوس (وهي مدينة أنشأها بارناسوس أحد ابناء بوسيدون)، حيث أيقظهم عواء مجموعة من الذئاب وتبعوهم إلى قمة الجبل (٢٤).

ومع ذلك هناك إشارات إلى أن الطوفان لم يترك أحدًا من البشر سوى من ركب السفينة، فقد ورد عند لوكيانوس:

" لكن ذلك الجنس البشرى هلكوا جميعًا. "

ἀλλ' ἐκείνη μὲν ἡ γενεὴ πάντες ὤλοντο,

وقوله أيضًا :

" وكان نتيجة هذه الآثام أن حاق بهم هلاك تام . "

ἀνθ' ὧν σφίσιν ἡ μεγάλη συμφορὴ ἀπίκετο.

Lucian., De Dea Syria ,12.

كما يشير أوفيديوس إلى أن الجنس البشرى لم يبق منه أحد عقب الطوفان حيث إن من سلم منهم من الماء، أهلكه نقص الغذاء:

"الجزء الأكبر جرفته المياه، وضرب الماء البعض منهم برفق(ببطىء) ولكن أهلكهم الجوع الشديد بسبب قلة الغذاء القاتلة. "

Maxima pars unda rapitur ; quibus unda pepercit ,

illos longa domant inopi ieiunia victu .

Ovid , Metam. , I, 311-12.

أما أبوللودوروس فقد ذكر أن جميع الخلق قد هلكوا فيما عدا قليلون اعتلوا قمم الجبال فيما يبدو أنه إشارة إلى أهل بارناسوس أو إلى الآخرين الذين أشرنا إليهم سابقًا :

"لدرجة أن البشر جميعا هلكوا فيما عدا القليلين الذين هربوا سويا إلى الجبال العالية في المناطق القريبة. "

ὥστε διαφθαρῆναι πάντας ἀνθρώπους, ὀλίγων χωρὶς οἳ συνέφυγον εἰς τὰ πλησίον ὑψηλὰ ὄρη.

Apollod., I. 7, 2.

هناك عنصر آخر من عناصر قصة الطوفان اليونانية يضرب بجذوره في أعمال أدب بلاد الرافدين وهو ما حملته السفينة غير البشر من مؤمن وحيوانات وطيور، حيث إن ديوكاليون قد حمل معه ذكر وأنثى من كل نوع من دواب الأرض؛ فقد ذكر لوكيانوس:

" والآن بعد أن صعد { ديوكاليون} إلى السفينة جاءت إليه الدببة والجياد ومخلوقات كثيرة من الأسود والأفاعى وجميع الحيوانات الأخرى التى تدب على الأرض، كل (جاء) أزواجًا. رحب بهم جميعا ولم تسبب له أي أذى وتوطدت الصداقة بينهم كما أمر زيوس نفسه وطفا الجميع في سفينة واحدة طوال المدة التي ساد فيها الطوفان . "

ἐσβαίνοντι δέ οἱ ἀπίκοντο σύες καὶ ἵπποι καὶ λεόντων γένεα καὶ ὄφιες καὶ ἄλλα ὁκόσα ἐν γῇ νέμονται, πάντα

ἐς ζεύγεα. ὁ δὲ πάντα ἐδέκετο, καί μιν οὐκ ἐσίνοντο, ἀλλά σφι μεγάλη διόθεν φιλίη ἐγένετο. καὶ ἐν μιῇ λάρνακι πάντες ἔπλευσαν ἔστε τὸ ὕδωρ ἐπεκράτεεν. **Lucian., De Dea Syria , 12.**

وفي هذا الشأن تتفق رواية لوكيانوس مع ما ورد في النص البابلى حيث ورد في ملحمة جلجاميش أن **أوتنابشتم** بعد أن حَمَّلَ السفينة بكل ما يملك من ذهب وفضة وضع فيها بذرة جميع الكائنات، وأيضا حمل معه حيوانات أليفة وأخرى برية. ومن الواضح أن رواية لوكيانوس لقصة الطوفان أقرب إلي الرواية البابلية بصورة أكبر من أي رواية كلاسيكية أخرى (٢٥).

وفي كل من القصص الشرقى وأيضا فيما ورد في المصادر الكلاسيكية عن الطوفان **رست سفينة البطل على أحد الجبال**، فقد ورد في ملحمة جلجامش:

"وعلى جبل نيصير حطت الفلك
وأمسك جبل نيصير الفلك ولم يدعها تتحرك
اليوم الأول، اليوم الثانى، وجبل نيصير ممسك بالفلك
اليوم الثالث، اليوم الرابع، وجبل نيصير ممسك بالفلك
اليوم الخامس، اليوم السادس، وجبل نيصير ممسك بالفلك
لا يدعها تتحرك (٢٦) . "

أما ما بقى من النص السومرى لقصة الطوفان فلم يرد فيه أية إشارة إلى المكان الذى استوت فيه السفينة (٢٧). أما بالنسبة إلي سفينة ديوكاليون وبيرها فتأتى أولى الإشارات على أنها رست على جبل بارناسوس، عند بنداروس (القرن الخامس ق.م) الذى يقول :

"إن ديوكاليون وبيرها عندما هبطا من جبل بارناسوس وأقاما مسكنهما الأول ، قاما بدون فراش بخلق الجنس المماثل { لكل منهما} من نوع حجري λίθινον وأطلق خطأ كلمة λαοὶ (علي البشر). "

Πύρρα Δευκαλίων τε Παρνασσοῦ καταβάντε
δόμον ἔθεντο πρῶτον, ἄτερ δ' εὐνᾶς ὁμόδαμον
κτισσάσθαν λίθινον γόνον· λαοὶ δ' ὀνύμασθεν.
Pindarus , Olympia 9, 43-46.

ويؤكد أوفيديوس على أن سفينة ديوكاليون قد رست على قمة جبل بارناسوس :

" وهناك على جبل يسمى بارناسوس، أمسك بالمجدافين ورفعهما تجاه السماء العالية، عاليا وعلى قمة تعانقها السحب هناك حيث نزل ديوكاليون ــ الذي كان مبحراً مع زوجته في طوافة صغيرة ــ علي نتوء جبلي . "

mons ibi verticibus petit arduus astra duobus,
nomine Parnasos, superantque cacumina nubes.
hic ubi Deucalion (nam cetera texerat aequor)
cum consorte tori parva rate vectus adhaesit,
Ovid. , Metam . I, 316-319.

كما ذكر أحد شراح بنداروس أن ديوكاليون وبيرها قد نزلا على جبل بارناسوس، حيث شيدا مدينة لوكرى:

"عندما قام زيوس بإغراق الأرض بالطوفان ، ركب ديوكاليون وبيرها سفينة رست بهما على قمة جبل بارناسوس بعد انحسار المياه، وعلي أحد التلال المعروف باسم لوكري. "

Διὸς τὴν γῆν κατακλύσαντος Δευκαλίων καὶ Πύῤῥα ἔν τινι κιβωτίῳ εἰσελθόντες μετεωρίσθησαν ὑπὸ τοῦ ὕδατος ὑπεράνω τοῦ Παρνασσοῦ, κατὰ δέ τινας ὄρους Λυκορὶ καλουμένου·

Scholia In Pindarum, Olympia (Odes IX, 42).

كما يقول البعض أن سفينة ديوكاليون قد رست على قمة جبل أيتنا Aetna (٢٨):

" هلك الجنس البشرى كله فيما عدا ديوكاليون وبيرها اللذان هربا إلى جبل أيتنا الذى يقال أنه أعلى جبل في صقلية. "

Omne genus humanum interiit praeter Deucalionem et pyrrham , qui in montem Aetnam , qui altissimus in Sicilia esse dicitur , fugerunt.

Hyginus, Fab. 153.

أو كما يقول البعض الآخر رست السفينة على جبل آثوس Athos :

" وغمر الطوفان الأرض وهلك البشر جميعا فيما عدا بيرها وديوكاليون اللذان هربا إلى جبل آثوس."

diluvio inudavit terras omnesque homines necavit , exceptis Pyrrha et Deucalione , qui in monte Atho liberati sunt .

Servius, In Vergilii Bucolicon VI, 41.

أما فيما يتعلق **بمدة الطوفان**، فإن النص السومرى يذكر أن الطوفان قد استغرق سبعة أيام وسبع ليال:

" وبعد ذلك ، لمدة سبعة أيام وسبع ليال ، اكتسح الطوفان الأرض (٢٩). "

وفي ملحمة جلجامش كانت مدة الطوفان ستة أيام وسبع ليال بعدها وفي اليوم السابع رست الفلك على جبل نيصير (٣٠):

" ستة أيام وسبع ليال يهب الريح
وتسحق العاصفة الجنوبية الأرض
فلما كان اليوم السابع سكنت العاصفة الجنوبية عن الحرب
التي شنتها كأنها الخيالة، هدأ البحر، وانقطع الطوفان
وسكنت العاصفة . . . . . (٣١). "

أما المصادر اليونانية واللاتينية (الكلاسيكية) فلم يرد فيها ذكر لمدة الطوفان سوى عند **أبوللودوروس** الذى ذكر أنه استمر تسعة أيام وتسع ليال :

" لكن ديوكاليون بقى محمولا في السفينة على البحر لمدة تسعة أيام وليال استقر بعدها فوق جبل (٣٢) بارناسوس. "

Δευκαλίων δὲ ἐν τῇ λάρνακι διὰ τῆς θαλάσσης φερόμενος <ἐφ'> ἡμέρας ἐννέα καὶ νύκτας <τὰς> ἴσας τῷ Παρνασῷ προσίσχει,

Apollod., I, 7, 2.

أما عن **كيفية معرفة البطل بانتهاء الطوفان** ووجود أرض تصلح للإقامة بها؟

فالحق أن هذه الطريقة تُمثِل عنصرًا شرقيًا آخر أضافه **بلوتارخوس** إلى قصة طوفان ديوكاليون حيث ذكر أن ديوكاليون قد عرف بانحسار المياه بواسطة طائر الحمامة الذى أطلقه من السفينة (٣٣):

"ويقول الرواة عن ديوكاليون أنه عندئذ قام بـإطلاق
حمامة من السفينة لكي يعرف من عودتهـا توقُـف
العاصفة الممطرة ووجود موضع صالح للسكني. "

οἱ μὲν οὖν μυθολόγοι τῷ Δευκαλίωνί φασι περιστερὰν ἐκ τῆς λάρνακος ἀφιεμένην δήλωμα γενέσθαι χειμῶνος μὲν εἴσω πάλιν ἐνδυομένην,

Plutarchus, De sollertia animalium, 968 section F 3-6.

وكان **أوتنابشتم** بطل قصة الطوفان في ملحمـة جلجـاميش قـد استخدم نفس الوسيلة لنفس الهدف حين أطلق حمامة ثم سـنونو، ثـم غرابًا لم يعد حين وجد مأوى له على الأرض؛ حيث تقـول الملحمـة علي لسان البطل:

"ولما حل اليوم السابع أخرجت حمامة وأطلقتها
طارت الحمامة ولكنها عادت
رجعت لأنها لم تجد موضعاً تحط فيه (٣٤). "

ويمثل ما فعله بطل قصة الطوفان حين تأكد من انتهاء الطوفـان وبعد نزوله من السفينة، عنصرًا آخر من العناصـر المتماثلـة فـي القصة، حيث يذكر **أبوللودوروس** ما فعله ديوكاليون، بقوله:

"وهناك وعندما حانت نهاية الأمطار نزل
وقدم الأضاحى لزيوس إله النجاة."

κἀκεῖ τῶν ὄμβρων παῦλαν λαβόντων ἐκβὰς θύει Διὶ φυξίῳ.

Apollod., I, 7, 2.

أما عند أوفيديوس فإن الزوجين قدما الشكر للإلهة ثيمـيس (٣٥) طالبين منها العون والمساعدة على تجديد الجنس البشرى:

"وعندما وضعوا أقدامهم علي عتبة المعبد مال كل واحد (منهم) مُنحنياً إلـــي الأرض، وكـــرس قيلاتـــه للصخر البارد، وقالوا: ''إذا كانت الأقـــدار (مشـــيئة الآلهة) المتسلطة تتبدل (تتحـــول) نتيجـــة لصـــلوات الأبرار وأيضاً إذا كان غضـــب الآلهـــة يهـــدأ بهـــذا، فخبرينا يا ثيميس، أية وسيلة يمكن بها استعادة مـــا فقدناه من جنسنا (البشري)، ويا أرحم الرحماء، قدمي لنا العون وامنحينا القدرة علي مساعدة من أغـــرقهم الطوفان ،،. "

ut templi tetigere gradus, procumbit uterque
pronus humi gelidoque pavens dedit oscula saxo
atque ita 'si precibus' dixerunt 'numina iustis
victa remollescunt, si flectitur ira deorum,
dic, Themi, qua generis damnum reparabile nostri
arte sit, et mersis fer opem, mitissima, rebus!'

Ovid, Metam . I , 375-380.

وقد ورد في النص السومرى لقصة الطوفان أن البطل زيوسودرا قدم الشكر لإله الشمس أوتو كما قام بتقديم الأضاحي :

" زيوسودرا الملك
سجد أمام أوتو،
ذبح الملك ثوراً، وذبح شاةً . . . (٣٦). "

أما ملحمة جلجاميش فتذكر أن أوتنابشتم عندما تأكد من انتهـــاء الطوفان قدم القرابين شكراً للآلهة:

"وعندئذ أطلقت كل شيء إلي الرياح الأربعة
وقربت قرباناً

سكبت سائلاً مقدساً علي قمة الجبل

ونصبت سبعة وسبعة قدور للقرابين . . . . (٣٧). "

وعند لوكيانوس نجد أن ديوكاليون قد نزل من السفينة في هيرابوليس بسوريا حيث أقام معبدًا تكريماً للإلهة هيرا (أتارجاتيس)، في المكان الذى ظهرت فيه فجوة في الأرض ابتلعت مياه الطوفان، ويحكى لوكيانوس عن احتفال سنوى كان السوريون يقيمونه تقليدًا لما قام به ديوكاليون بعد انتهاء الطوفان، يتم فيه جلب مياه البحر إلى المعبد وسكبها في هذه الفجوة (٣٨).

كما يحدثنا باوسانياس عن إقامة احتفال سنوى في أثينا تخليدًا لذكرى انحسار مياه الطوفان في أحد الشقوق التى وجدت في أرض الأولمبوس، حيث وجد معبد قديم للإله كرونوس والإلهة ريا وأرباض تخص الإلهة جى (٣٩).

وبما أن قصة الطوفان تشير إلى إعادة تكوين الخلق، فإن هذا يضفي قدسية على المكان بوصفه المركز الكوني، الذي كتب للبشرية فيه ميلاد جديد بعد أن رست السفينة التي حفظت بذور الإنسان وغيره من المخلوقات والكائنات، وهو الأمر الذى يفسر تعدد الأماكن التى يروى أن سفينة ديوكاليون قد رست عليها بعد انتهاء الطوفان (٤٠).

ولكن كيف تم تجديد الجنس البشري بعد الطوفان؟

يفهم مما ورد عند بنداروس أن الزوجين لم يعتمدا علي نفسيهما أو علي غيرهما من البشر في تكاثر الجنس البشري من جديد؛ حيث تم هذا بواسطة الأحجار؛ وفي الحقيقة إن مصادر الشرق الأدني القديمة لم تشر إلي هذا، ويرجع ذلك إلي أن بطل قصة الطوفان لديهم حمل أهله أيضاً في السفينة علاوة علي زوجته وتم تجديد الجنس

البشري من الناجين تلقائياً، حيث قامت الآلهة بنقل الزوجين إلي مكان قصي عند نهاية الأرض لكي يعيشا حياة أبدية تشبه حياة الآلهة، وتركا أمر تجديد الجنس البشري لمن رافقهما في رحلة سفينة النجـــاة (٤١)؛ ولهذا لم يشعر بطل القصة هو وزوجته بالعزلة التي يتحـــدث عنهـــا هيجينوس بالنسبة إلي ديوكاليون وبيرها.

"ولم يتمكن هذان الزوجان أن يعيشا وحدهما بســـبب العزلة، توسلا إلي جوبيتر كى يمنحهمـــا البشـــر أو أن يشملهما بالكارثة. "

hi propter solitudinem cum vivere non possent, petierunt ab Iove ut aut homines daret aut eos pari calamitate afficeret.

Hyginus, Fab. 153.

ويسير لوكيانوس علي درب القصة التي ترويها المصادر الشرقية، فلم يذكر شيئاً عن كيفية تجديد الجنس البشري؛ أما إشارة بنداروس إلي تجديد الخلق من الأحجار فبها شيء من الغمـــوض، وإن كـــان مـــن الممكن ازالة ذلك الغموض مما ورد عند أحد شراح أغاني بنـــداروس الأولمبية، حيث أوضح أن الزوجين وطبقاً لأمر زيوس ألقيـــا بعظـــام (الأحجار) أمهما (الأرض) خلفهما ليعيدا الجنس البشري إلي الوجود:

"ونصحهما زيوس أن يلقيا عظام أمهما خلفهما . . .

. . . .

أخذا أحجاراً {من الأرض} وقاما بإلقائها خلفهما، وقـــد أصبحت الأحجار التي ألقتها بيرها نساءً والأحجار التي ألقاها ديوكاليون رجالاً ؛ ولـــذلك وجـــد الاســـم λαός "البشر"؛ حيث إن λᾶς هي λίθος "الحجر. "

προσετάχθησαν ὑπὸ τοῦ Διὸς τὰ τῆς μητρὸς αὐτῶν ὀστᾶ ὄπισθεν *ῥίπτειν*· . . . . . .
λίθους λαβόντες ὄπισθεν αὐτῶν *ἔρριπτον*· καὶ οὓς μὲν ἡ Πύρρα *ἔρριπτε* γυναῖκες, οὓς δὲ Δευκαλίων ἄνδρες ἐγένοντο. ὅθεν ἐστὶ καὶ τὸ λαὸς ὄνομα· λᾶς γὰρ ὁ λίθος.

Scholiast on Pindar's Olympian Odes IX, 42.

أما أبوللودوروس فيذكر أن ديوكاليون وبيرها تمكنا من تجديد الجنس البشري من الأحجار طبقاً لأمر زيوس :

" وبناءً علي أمر زيوس التقط {كل منهما} أحجاراً وألقاها خلف رأسه، ومن ناحية تحولت الأحجار التي ألقاها ديوكاليون إلي رجال ، ومن ناحية أخرى تحولت تلك {الأحجار} التي ألقتها بيرها إلي نساء . . . "

καὶ Διὸς εἰπόντος ὑπὲρ κεφαλῆς ἔβαλλεν αἴρων λίθους, καὶ οὓς μὲν ἔβαλε Δευκαλίων, ἄνδρες ἐγένοντο, οὓς δὲ Πύρρα, γυναῖκες.

Apollod., I, 7, 2.

وإذا كان زيوس عند **أبوللودوروس** هو الذي أمر ديوكاليون وبيرها أن يلتقطا الأحجار ويقوما بإلقائها، فإنه هو نفسه أيضاً الذي أمر الأحجار بأن تتحول إلي بشر وذلك طبقاً لما ورد عند هيجينوس:

"ثم أمرهما جوبيتر أن يلقيا الأحجار خلفهما، وأمر الأحجار التي ألقاها ديوكاليون أن تصبح رجالاً والأحجار التي ألقتها بيرها أن تصبح نساءًا. "

tum Iovis iussit eos lapides post se iactare; quos Deucalion iactavit, uiros esse iussit, quos Pyrrha, mulieres.

Hyginus, Fab. 153.

أما عند أوفيديوس فإن هذه العملية والخاصة بتجديد الجنس البشري، حدثت بنفس الطريقة ولكن بناءً علي نصيحة الإلهة ثيميس جدة كل من ديوكاليون وبيرها، حيث نصحتهما بأن يغطيا رأسيهما ويلقيا عظام أمهما خلفهما، وأدرك الزوجان أن أمهما سوياً بل وأم الجميع هي الأرض، وأن الأحجار هي عظامها فقاما بإلقائها بناءً علي نصيحة الإلهة (٤٢) ؛ ومن ثم:

"وخلال فترة قصيرة وبمشيئة الآلهة أخذت الأحجار الملقاة بأيدي الرجل شكل الرجال، وخلقت المرأة مرة ثانية من {الأحجار} التي قامت الأنثى (بيرها) بإلقائها."

inque brevi spatio superorum numine saxa
missa viri manibus faciem traxere virorum
et de femineo reparata est femina iactu.

Ovid., Met., I, 411-413.

وقد سار سيرفيوس علي نفس الدرب حيث يروي أن تجديد الجنس البشري تم بنفس الطريقة وبنصيحة من ثيميس:

" لكنهما ومن خلال دعوة ثيميس تم استعادة الجنس البشري ثانية من الأحجار الملقاة للخلف، وبالفعل استعادت بيرها النساء واستعاد ديوكاليون الرجال."

sed hi ex responso Themidis saxis post tergum iactis genus hominum reparaverunt, et Pyrrha quidem reparavit feminas, Deucalio mares.

Servius, In Vergilii Bucolocun Librum,VI, 41.

وكان تحول الأحجار عند هيجينوس وأبوللودوروس إلى رجال ونساء، سبباً في تسمية البشر λαός نسبة إلي كلمة λᾶς التي تعني حجراً والتي تقابل كلمة lapis اللاتينية ؛ طبقاً لما ذكره هيجينوس:

"ومن هذا الحدث قيل λαός "بشر" لأن λᾶς في اللغة اليونانية تعني الحجر. "

ob eam rem λαὸς dictus, λᾶς enim Graece lapis dicitur.

Hyginus , Fab 153 .

وهو نفس الشيء الذي ذكره أبوللودوروس:

"ومن ذلك تم تسمية البشر λαοὶ بالجناس اللفظي من {كلمة} λᾶας التي تعني حجر. "

ὅθεν καὶ λαοὶ μεταφορικῶς ὠνομάσθησαν ἀπὸ τοῦ λᾶας ὁ λίθος.

Apollod., I, 7, 2.

وفي الوقت الذي تجمع فيه المصادر اليونانية واللاتينية علي أن بشر الخلق الثاني خلقوا من الأحجار ولهذا تم تسميتهم بكلمة λαοὶ التي تتجانس لفظياً مع كلمة λᾶας "الحجر"، كما صرح أبوللودوروس، فإننا نجد أن بعض الروايات الخاصة بالخلق في الأدب المصري القديم تشير إلي شيء مماثل لهذا الجناس اللفظي، حيث تذكر أن البشر خلقوا من دموع "**رميت**" الإله رع، ولذلك تم تسمية البشر بكلمة "**رميت**" التي تعني الدموع (٤٣).

ويتضح مما ورد عند أبوللودوروس أن قصة الطوفان عند اليونانيين كان لها هدف آخر ألا وهو تأصيل نسبهم وربطه بالأخيار

من البشر الذين اختارتهم الآلهة ليكونوا مصدر الخلق الثـــانى، حيـــث يروى أبوللودورس أن ديوكاليون قد أنجب هيللين جد اليونانيين جميعًا بقبائلهم المختلفة من بيرها، حيث ينظر إلي ديوكاليون، الذي ينسب إلي بروميثيوس وباندورا، علي أنه الجد الأكبر للجـــنس البشـــري (٤٤). ويقول أبوللودوروس:

"وولد أبناء لديوكاليون من بيرها الأول هيللين، الذي يقولون أنه ولد من زيوس. "

Γίνονται δὲ ἐκ Πύρρας Δευκαλίωνι παῖδες Ἕλλην μὲν πρῶτος, ὃν ἐκ Διὸς γεγεννῆσθαι <ἔνιοι> λέγουσι, **Apollod., I, 7, 2.**

كانت رواية طوفان ديوكاليون هي الأكثر شهرة بين الروايـــات الخاصة بحوادث الطوفان التي ورد ذكرها في المصادر الكلاســـيكية، حيث تشير المصادر إلي حدوث طوفان سابق علي طوفان ديوكاليون وتالي لطوفان نوح يعرف باسم طوفان **أُجيجـــوس** Ogygus، وكـــان أُجيجوس قد حكم طيبة وهي أقدم ما بُنى في بلاد اليونان، حوالي عام ٢١٣٦ ق.م.؛ ويروى أيضاً حدوث طوفان يدعى طوفان **داردانـــوس** نسبة إلي حاكم أركاديا الذي رحل منها هو وشعبه بعـــد أن ضـــربها طوفان محدود أغرق أرضها وجعلها غير صالحة للزراعـــة، وقـــام داردانوس بعد وصوله إلي ثاموثراس ببناء داردانيا (طروادة).

ووردت هذه الروايات عند **فارو**، كما ترددت عند كتاب مسيحيين مثل **إيوسيبيوس ويوليوس أفريكانوس وإيزيدوروس**، حيث يبدو أنهم أرادوا بذلك تمجيد حادثة الطوفان التي وردت فـــي كتـــبهم المقدســـة وإضفاء نوع من العراقة عليها (٤٥).

خلاصة القول أن صورة الطوفان في المصادر اليونانية واللاتينية لم تختلف كثيراً عما كانت عليه في المصادر السومرية والبابلية، فقد أحدثت الآلهة الطوفان بسبب شرور البشر وآثامهم وخرقهم للموروثات الإنسانية الأخلاقية، واختارت الآلهة أشخاصاً مطيعين لها علي رأسهم بطل القصة وأمرته ببناء سفينة تنجيه هو ومن معه من البشر وغيرهم من المخلوقات وذلك بسبب تقواه وورعه، واستمرت السفينة هائمة علي وجه الماء بضعة أيام حتي رست علي أحد الجبال بعد انحسار المياه؛ وبدأت حياة الخلق الثاني بتقديم الشكر للآلهة. وأشرف البطل في القصة اليونانية علي بداية خلق جديد من رجال ونساء خلقوا من الأحجار (الأرض)، أما البطل الشرقى فقد ترك الأمر لسواه من الناجين؛ ويبدو أن اليونانيين أرادوا خلقاً جديداً تماماً، حيث تُجمع أغلب الروايات علي نجاة بطل القصة وزوجته فقط.

وعلى أي حال فإن قصة طوفان ديوكاليون تظل قصة شرقية الأصل بعناصرها المختلفة التى تعرضنا لها، وإن لم تتم روايتها بجميع عناصرها الشرقية عن أحد الشعراء أو الكتاب اليونانيين والرومان، حيث تتكامل المصادر الكلاسيكية في عرض جميع عناصرها. وتظل القصة تهدف بوجه عام إلى :

١- أن على البشر إتباع الفضائل والبعد عن الرزائل ليس فيما يتعلق بعلاقتهم بآلهتهم فقط وإنما أيضا في معاملاتهم مع بعضهم البعض.

٢- ينتمى اليونانيون إلى نسل الأخيار الذين يطيعون الآلهة .

الهوامش:

١- **محمد بيومى مهران**، "دراسة حول قصة الطوفان بين الآثار والكتب المقدسة"، مجلة كلية اللغة العربية والعلوم الإجتماعية، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، المملكة العربية السعودية، العدد الخامس ١٣٩٥هـ - ١٩٧٥م، ص٣٨٣.

٢- Penglase Ch., Greek Myths and Mesopotamia, London and New York, 1997, pp. 226-7.

عن أسطورة **باندورا**؛ انظر: **عبدالمعطي شعراوى**، أساطير إغريقية (أساطير البشر)، الجزء الأول؛ الطبعة الثالثة، القاهرة ٢٠٠٣م، ص ص ٦١- ٧٥.

٣- **فريزر جيمس**، الفلوكلور في العهد القديم (التوراة)، الجزء الأول، ترجمة: نبيلة إبراهيم، ط٢، دار المعارف ــ القاهرة (١٩٨٢)، ص ١٦٢.

٤- **محمد عبد القادر محمد**، "قصة الطوفان في أدب بلاد الرافدين"، حوليات كلية الآداب، جامعة القاهرة، المجلد السابع والعشرون (١٩٦٥)، ص١١٢.

تأتي بقية النص لتبين أن الإله إنكي يطلب من زيوسودرا أن يستمع إليه وأن يعمل بنصيحته حيث:

"إن طوفاناً سيكتسح مراكز العبادة
ليقضي علي بذرة البشر ... ،
هذا قرار مجلس الآلهة
بناءً علي الكلمة التي أمر بها آنو و إنليل .... "

انظر: المرجع نفسه، ص ص ١١٢-١١٣.

٥- **طه باقر وبشير فرنسيس**، "نصوص من الأدب السومري القديم: ملحمة جلجامش والطوفان"، مجلة سومر، المجلد السادس، الجزء الثانى، العراق

(١٩٥٠)، ص١٥٩؛ وانظر أيضا: **طه باقر**، ملحمة كلكامش، [بغداد – ١٩٧٤م.]، ص١٤٤.

مما يرجح الأصل السومري لقصة الطوفان البابلية أن الآلهة السومرية هم الذين قاموا بالدور الرئيسى في القصة، كما أن اسمي بطلي ملحمة جلجامش التي وردت فيها قصة الطوفان من أصل سومري، حيث إن أبوي جلجامش مسميان باسمين سومريين، كما أن الإلهة "**أرورو**" التي خلقت أنكيدو هي الإلهة الأم السومرية المعروفة بأسماء أخرى منها "**ننخرساج**"، وكذلك فإن الإله **آنو** الذي صنع ثور السماء للإلهة **عشتار** لكي يثأر لها من جلجامش وصديقه.قد تم اقتباس عبادته واسمه من الإله السومري "**آن**" .

انظر:

صمويل كريمر، من ألواح سومر، ترجمة: طه باقر، مراجعة وتقديم: أحمد فخري، بغداد ــ القاهرة [١٩٥٧]، ص ٣١٢.

٦- لم يكن الطوفان هو الخيار الوحيد الذي طرح كوسيلة لهلاك البشر عقاباً لهم علي ما اقترفوه من آثام سواءً في المصادر الشرقية أو في المصادر الكلاسيكية، حيث نفهم مما ورد في ملحمة جلجاميش أنه كان من الممكن للآلهة أن تطلق الوحوش علي البشر فتأكلهم أو ترسل عليهم المجاعة فتهلكهم؛ وفي رواية أوفيديوس الخاصة بالطوفان نجد أن جوبيتر يفكر في إرسال صواعقه إلي الأرض فيهلكها وذلك قبل أن يستقر رأيه علي إرسال الطوفان، كما أن البعض قد نظر إلي حرب طروادة علي أنها وسيلة لإنقاص البشر بسبب إزعاجهم للآلهة. أنظر:

West M. L., The East Face of Helicon; West Asiatic Elements in Greek Poetry and Myth, Oxford, 1997, p. 491.

قارن: **طه باقر**، ملحمة كلكامش، مرجع سابق، ص ١٤٤؛

Cf., Ovid., Met. I, 253 – 9.

٧- يشير **ول ديورانت** إلي أن قصة الطوفان كانت أكثر انتشاراً من قصة الخلق نفسها وذلك بسبب المغزى الأخلاقي الذي تشير إليه، ورغبة الأمم القديمة في التعبير عن تجاربهم ومواقفهم الأخلاقية؛ وحيث إن الأقوام هنا أو هناك قد فسدوا وانتشر الشر بينهم، فمن ثم جاء الطوفان للقضاء عليهم.

انظر: **ول ديورانت**، قصة الحضارة، الجزء الثاني، ترجمة: محمد بدران، القاهرة ١٩٦١، ص ص. ٣٦٩- ٧٠؛ وانظر أيضاً: **محمد بيومى مهران**، مرجع سابق، ص ٤١٩؛ وقارن: Ovid , Met . I . 141-149

٨- Cf., Ovid., Met. I, 163 –252.

٩- Graves R., The Greek Myths, Vol. I, Penguin Books, Great Britain, 1960, p. 142.

انظر أيضاً: **محمد بيومى مهران**، مرجع سابق، ص ص ٤١٦-٤١٧.

حيث يشير إلي أن القصة تتوافق مع ما ورد في التوارة من إشارات إلى أن غضب الرب على قوم نوح كان السبب في هلاكهم.

١٠- West M. L., Op. Cit., p.3.

١١- Penglase , Op. Cit., pp. 226-227.

من المرجح وجود رواية يونانية مبكرة تخص قصة الطوفان، حيث يوجد تلميح لها عند أيسخيلوس في مسرحيته "بروميثيوس في الأغلال"، فلقد غضب زيوس علي البشر واعتزم أن يستبدلهم بآخرين ولم يعترض علي ذلك أحد من الآلهة ولم ينقذهم سوي بروميثيوس (٢٣٢-٢٣٧)، الذي تمتع بالقدرة علي التنبوء بالغيب (٤٨٥-٦). انظر:

West M. L., Op. Cit., p.491. ؛ وقارن:

Aeschylus, Prometheus Vinctus, 232-237; 485-6.

وتمثل مسرحية أيسخيلوس دفاعاً عن بروميثوس ابن التيتن إيـــابيتوس، وصديق البشر الذي قام بصنعهم بيديه وقام أيضاً بسرقة النار من السماء من أجلهم.

Burkert, Greek Religion, Harvard University Press, U.S.A. 1985, p. 171.

عن قيام بروميثيوس بخلق البشر ؛ انظر: **عبدالمعطي شعراوى**، أســـاطير إغريقيـــة (أساطير الآلهة الصغرى)، الجزء الثاني؛ الطبعة الأولى، القـــاهرة ١٩٩٥م، ص ص ٤١- ٤٣.

١٢- **محمد بيومى مهران** ، مرجع سابق ، ص ص ٤١٧-٤١٩.

برهنت الاكتشافات الأثرية أن عدة أجزاء من ملحمـــة جلجـــامش تـــم تدوينها في العهد البابلي القديم (حوالي القرن الثامن عشر ــ السابع عشـــر ق.م.)، كما اكتشفت في آسيا الصغري ترجمات قديمة لأجـــزاء مـــن هـــذه الملحمة إلي اللغة الحورية واللغة الحيثية مدونة علي ألواح من الطين ترجع إلي النصف الثاني من الألف الثاني قبل الميلاد. انظر:

صمويل كريمر، من ألواح سومر، مرجع سابق، ص ٣٠٤ .

ويرجح بعض الدارسين أن التوراة قد تـــأثرت فـــي روايتهـــا لقصـــة الطوفان بالأدب البابلي القديم.

انظر : **محمد بيومى مهران** ، مرجع سابق، ص ص. ٤١٦-٤١٧.

١٣- **محمد عبد القادر محمد**، مرجع سابق، ص ص. ١١٦-١١٩.

الذي يذكر أن قصة عقاب الإله رع للبشر علي كفرهم هـــذه تعـــود فـــي الغالب إلي عهد الأسرة الثامنـــة عشـــر (١٥٥٥- ١٣٥٠ ق.م.)؛ انظـــر: المرجع نفسه، ص ١١٤.

عرفت الإلهة **حتحور** بأنها إلهة للحرب وذلك لأنها كانت تمثـــل "عـــين الشمس" التي تحارب أعداء الإله رع، وكانت حتحور قد ورثت عبادة السماء "نوت" ولهذا كان اسمها يشير إلي بيت حورس الموجود في الســـماء، وفـــي

عصر الدولة الحديثة عبد المصريون الإلهة **حتحور** بوصفها إلهة للحب، الإلهة الطروب عند النساء، اللائي قمن علي خدمة عبادتها وأحيوا احتفالاتها بالرقص والموسيقى والغناء، ولهذا قابلها اليونانيون بالإلهة **أفروديتي**.انظر: **أدولف إرمان**، ديانة مصر القديمة: نشأتها وتطورها ونهايتها في أربعة آلاف سنة، ترجمة: عبدالمنعم أبوبكر و محمد أنور شكري، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مكتبة الأسرة ١٩٩٧، ص ص ٣٦ – ٣٨؛ ص ٧٧.

١٤- **فريزر جيمس**، مرجع سابق، ص ص ١٦١-١٦٢.

١٥- **س. م. بورا**، التجربة اليونانية، ترجمة: أحمد سلامة محمد السيد، الألف كتاب الثانى (٦٧)، الهيئة المصرية للكتاب، ١٩٨٩، ص ص ٩٠-٩١.

لقد ازدادت عقيدة إيمان البشر بأن الآلهة تراقب أعمالهم وتعاقب المسيئين منهم في الفترة ما بين القرن السادس والقرن الرابع ق. م. عندما إتجه أفلاطون إلى وضع نظام للثواب والعقاب في العالم الآخر يتم القصاص بموجبه للمظلومين في الدنيا، وإن لم يوجد دليل على خوف أي من اليونانيين من العذاب بعد الموت. انظر: المرجع نفسه، ص٩١.

١٦ - **محمد عبد القادر محمد** ، مرجع سابق ، ص١١٣.

١٧- انظر: **طه باقر**، ملحمة كلكامش، مرجع سابق، ص١٣٧.

وانظر أيضًا : **محمد عبد القادر محمد** ، مرجع سابق ص١٠٢.

١٨- **فريزر جيمس**، مرجع سابق ، ص١٦٢.

١٩- راجع: **طه باقر وبشير فرنسيس**، مرجع سابق، ص١٥٤؛ ص ص ١٦٩-١٧٠؛ ص١٧٣.

هناك رواية أخرى لقصة الطوفان مكتوبة باللغة البابلية القديمة، وتعود إلي عصر الملك "إمي صادوقا" [من السلالة البابلية الأولى]، وبطل هذه القصة شخص يدعى "أتراحاسيس" أى "كثير الحكمة"، جاءه الأمر ببناء سفينة تنجيه من الطوفان، ويزودها بالمتاع والمؤن اللازمين له ولإمرأته

وأسرته وأقاربه ومن معهم من الصناع والحيوان أى جميع من حملهم فـــي الفلك، ولم يخبرنا النص ماذا حدث للسفينة ومن عليها بعد ذلك.

انظر: المرجع نفسه، ص ص. ١٧١ – ١٧٤.

٢٠ – West M. L., Op. Cit., p. 493.

وانظر: **محمد عبد القادر محمد** ، مرجع سابق ، ص١١٤.

٢١– Cf. : Ovid., Met., I, 355 - 64.

٢٢– قارن: Paus. , I , 40 , (1-2)

Μέγαρόν τε παῖδα ὄντα Διὸς καὶ ταύτης δὴ τῆς νύμφης ἐκφυγεῖν τὴν ἐπὶ Δευκαλίωνός ποτε ἐπομβρίαν, ἐκφυγεῖν δὲ πρὸς τὰ ἄκρα τῆς Γερανίας, οὐκ ἔχοντός πω τοῦ ὄρους τὸ ὄνομα τοῦτο, ἀλλὰ – νήχεσθαι γὰρ πετομένων γεράνων πρὸς τὴν βοὴν τῶν ὀρνίθων αὐτόν– διὰ τοῦτο Γερανίαν τὸ ὄρος ὀνομασθῆναι.

٢٣– قارن: Ovid. , Met., VII, 352- 6.

superque
Othryn et eventu veteris loca nota Cerambi:
hic ope nympharum sublatus in aera pennis,
cum gravis infuso tellus foret obruta ponto,
Deucalioneas effugit inobrutus undas.

وانظر Graves, op. cit. , pp. 139 – 140.

٢٤– قارن: Paus . x , 6 (1-2)

τῶν δὲ ἀνθρώπων ὅσοι διαφυγεῖν τὸν χειμῶνα ἠδυνήθησαν, λύκων ὠρυγαῖς ἀπεσώθησαν ἐς τοῦ Παρνασσοῦ τὰ ἄκρα ὑπὸ ἡγεμόσι τῆς πορείας τοῖς θηρίοις, πόλιν δὲ ἣν ἔκτισαν ἐκάλεσαν ἐπὶ τούτῳ Λυκώρειαν.

ويتضح من النص أن أهل بارناسوس قاموا بعد هذه الحادثة بإنشاء مدينة جديدة أطلقوا عليها اسم Λυκώρεια لوكريا، وذلك تيمناً بالذئاب Λύκοι التي أنقذتهم من الكارثة. انظر Graves, op. cit., p. 140.

٢٥- Strong and Garstang, The Syrian Goddess, London, 1913, p. 31, № 22.

٢٦- انظر: **محمد عبد القادر محمد**، مرجع سابق، ص١٠٦، وقارن: **طه باقر**، ملحمة كلكامش ، مرجع سابق ، ص ١٤١ .

٢٧- انظر ترجمة القصة السومرية عند: **محمد عبد القادر محمد**، مرجع سابق، ص ص ١١٠-١١٤.

٢٨- Graves , Op. Cit, p.139.

٢٩- **محمد عبدالقادر محمد**، مرجع سابق، ص١١٣.

٣٠- حدد بعض الدارسين جبل نيصير بجبل (بير مكرون) وهو جبل بالقرب من السليمانية يبلغ ارتفاعه حوالي تسعة آلاف قدم، ويبعد عن شروباك موطن أوتنابشتم بحوالى ٤٥٠ كم ، تجاه الشمال الشرقي، وكان يعرف إلي عهد قريب باسم "بير عمر كودرون"، وقد ربطه بعض الدارسين بجبل أراراط المذكور في التوراة.

طه باقر، ملحمة كلكامش، مرجع سابق، ص ١٤١ هامش (١٦٠).

٣١- **محمد عبد القادر محمد**، مرجع سابق ص ١٠٥، وإنظر أيضا فيما يتعلق بمدة الطوفان: **طه باقر**، ملحمة كلكامش، مرجع سابق، ص ص ١٤٠-١٤١.

٣٢- τῷ Παρνασῷ προσίσχει " استقر فوق جبل بارناسوس": تدل العبارة علي أن الأرض كلها كانت عبارة عن بحر كبير، حيث غطت المياه قمم الجبال بالدرجة التي تسمح بإبحار سفينة كبيرة مثل سفينة ديوكاليون التي كانت تحمل من كل زوجين اثنين من جميع الكائنات التي كانت توجد علي الأرض قبل حدوث الطوفان، فضلا عن الزاد الذي يكفي البطل ومن معه طوال مدة الطوفان.

٣٣- **فريزر جيمس**، مرجع سابق، ص ١٩٩.

٣٤- **طه باقر**، ملحمة كلكامش، مرجع سابق، ص ١٤١.

٣٥- ثيميس Θέμις: هي ابنة جايا وأورانوس وهي أم بروميثيوس (Hes., Theog., 135) ولديها القدرة علي التنبوء، من المرجح أن بروميثيوس قد اكتسب هذه الخاصية منها، وقد صُورت ثيميس وهي تتحكم في نبوءة ديلفي البيثية، وكانت ثيميس إلهة أساسية ، ولكنها كانت ترتبط دائماً بنظام زيوس وبالعدالة والحق والقانون. وهي عند هيسيودوس زوجة زيوس الثانية وأنجبت له الفصول Ὧραι والنظام الجيد Εὐρυνόμη والعدالة Δίκη والسلام Εἰρήνη والقدر Μοῖραι. ويقال أن ثيميس وأبوللو قد أوجدا النبوءة ليساعدا البشر (Hes., Theog., 901-6). وقد تزوج زيوس أختها منيموسيني Μνημοσύνη أيضاً.

Kerényi C., The Gods of The Greeks, Yugoslavia, 1988, pp. 101-103.

The Oxford Classical Dictionary, 2nd. ed., Hammond (N. G. L.) and Scullard (H. H.), Oxford, 1997.

٣٦- **محمد عبد القادر محمد**، مرجع سابق، ص ص. ١١٣-١١٤.

٣٧- **طه باقر وبشير فرنسيس**، "ملحمة جلجاميش والطوفان"، مرجع سابق، ص١٥٨.

٣٨- Cf. Lucian., De Dea Syria , 13.

٣٩- Cf . Paus. , I , 18 ,7.

٤٠- **محمد بيومى مهران**، مرجع سابق، ص ٤١١.

٤١- West M. L., Op. Cit., p. 493.

لقد تمتع بطل قصة الطوفان في مأثورات بلاد بين النهرين بالتحول إلي العيش في حياة فردوسية بعيداً عن بقية البشر وهو الأمر الذي حدث مع مينيلاوس في الأوديسيا حيث قدر له أن يعيش مع الخالدين في سهل إليسيا Elysia ، حيث الحياة الهادئة الهانئة ، فقد كان زوجاً لهيلين الابنة غير الشرعية لكبير الآلهة زيوس والتي من المفترض أنها ذهبت مع زوجها

مينيلاوس إلي الحياة المماثلة لحياة الآلهة مثلما حدث مع زيوسودرا وأوتنابشتم .

West M. L., Op. Cit., p. 167.

Cf. Hom., Od. 561- 9.

Cf. Ovid., Met., I, 379- 410. -٤٢

٤٣- انظر: **أدولف إرمان** ، مرجع سابق، ص ٧٨.

Penglase Ch., Op. Cit., pp. 226-7. -٤٤

• يذكر بنجليس أن احدى شذرات هيسيودوس وهى الشذرة ٢ ، تصور بروميثيوس وباندورا في موضع الآلهة التي تحدث الخلق وهما بهذا يمثلا الإله إنكى والإلهة الأم في ملحمة جلجاميش (أتراحاسيس).كما يشير بنجليس إلي أن الروايات المتعلقة بعلم الأنساب وتاريخ الجنس البشري ترتبط بديوكاليون بطل الطوفان اليوناني الذي يرتبط بدوره بكل من بروميثيوس وباندورا ؛ وأن أغلب هذه الروايات الخاصة بعلم الأنساب هي في معظمها اقتباسات من هيسيودوس.

Penglase, op. cit., pp. 226 – 227.

٤٥- فريزر جيمس، مرجع سابق، ص ص ٢٠٠- ٣ .

المصادر:

Apollodorus , The Library , Loeb Classical Library , London , 1939 ; 1954 .

Aeschylus, Prometheus vinctus, ed. G. Murray, Aeschyli tragoediae, 2nd edn. Oxford: Clarendon Press, 1955 (repr. 1960). (TLG) *

Hesiodus, Theogony, Loeb Classical Library, London, 1982.

Hyginus , Fables , Budé , Paris , 1997 .

Lucianus , De Dea Syria , Loeb Classical Library , London, 1925.

Ovid, Metamorphoses, Loeb Classical Library, London, 1984.

Pausanias , Description of Greece, Loeb Classical Library , London, 1977 & 1992 .

Pindar , Olympian Odes , Loeb Classical Library , London, 1989 .

Plutarch , De sollertia animalium (959a - 985c), ed. C. Hubert, Plutarchi moralia, vol. 6.1. Leipzig: Teubner, 1954 (repr. 1959). (TLG)*

Scholia in Pindarum (scholia vetera), ed. A.B. Drachmann, Scholia in Olympia i-xiv: Leipzig: Teubner, 1903; 1927 (repr. Amsterdam: Hakkert, 1:1969; 2:1967;) (TLG) *

Maurus ***Servius*** Honoratus. In Vergilii Bucolicon Librum (Servii Grammatici Qui Feruntur in Vergilii Bucolica et Georgica Commentarii. Vol. 3:1, ed. G. Thilo, 1887). (TLG) *

* TLG Canon:

1- TLG Canon of Greek Authors and Works.
2- TLG Canon of Latin Authors and Works.

المراجع الأجنبية:

Burkert, Greek Religion, Harvard University Press, U.S.A. 1985.

Graves R., The Greek Myths, Vol. I, Penguin Books, Great Britain, 1960.

Kerényi C., The Gods of The Greeks, Yugoslavia, 1988.

Penglase Ch., Greek Myths and Mesopotamia, London and New York, 1997.

Strong and **Garstang,** The Syrian Goddess, London, 1913.

West M. L., The East Face of Helicon; West Asiatic Elements in Greek Poetry and Myth, Oxford, 1997.

The Oxford Classical Dictionary, 2nd. ed., Hammond (N. G. L.) and Scullard (H. H.), Oxford, 1997.

المراجع العربية:

أدولف إرمان، ديانة مصر القديمة: نشأتها وتطورها ونهايتها في أربعة آلاف سنة، ترجمة: عبدالمنعم أبوبكر و محمد أنور شكري، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مكتبة الأسرة ١٩٩٧.

بورا س. م. ، التجربة اليونانية، ترجمة: أحمد سلامة محمد السيد، الألف كتاب الثانى (٦٧)، الهيئة المصرية للكتاب، ١٩٨٩.

طه باقـر، ملحمة كلكامش، [بغداد – ١٩٧٤م.].

طه باقر وبشير فرنسيس، "نصوص من الأدب السومري القديم: ملحمة جلجامش والطوفان"، مجلة سومر، المجلد السادس، الجزء الثانى، العراق (١٩٥٠).

عبدالمعطي شعراوى، أساطير إغريقية:

(أساطير البشر)، الجزء الأول؛ الطبعة الثالثة، القاهرة ٢٠٠٣م.

(أساطير الآلهة الصغرى)، الجزء الثاني؛ الطبعة الأولى، القاهرة ١٩٩٥م.

فريزر ج.، الفلوكلور في العهد القديم (التوراة)، الجزء الأول، ترجمة: نبيلة إبراهيم، ط٢، دار المعارف ــ القاهرة (١٩٨٢).

كريمر ص. ن.، من ألواح سومر، ترجمة: طه باقر، مراجعة وتقديم: أحمد فخري، بغداد ــ القاهرة [١٩٥٧].

محمد بيومى مهران، " دراسة حول قصة الطوفان بين الآثار والكتب المقدسة"، مجلة كلية اللغة العربية والعلوم الإجتماعية، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ، المملكة العربية السعودية ، العدد الخامس ١٣٩٥هـ -١٩٧٥م.

محمد عبد القادر محمد، "قصة الطوفان في أدب بلاد الرافدين"، حوليات كلية الآداب، جامعة القاهرة، المجلد السابع والعشرون (١٩٦٥).

ول ديورانت، قصة الحضارة، ج ٢، ترجمة: محمد بدران، القاهرة ١٩٦١.